

ثورة العشرين في أدبيات المؤرخين العراقيين: دراسة تحليلية

د. حفظ الله يحيى يوسف الأحمدى

رئيس قسم التاريخ والعلاقات الدولية

كلية التربية المحويت - جامعة صنعاء

The twentieth revolution in the literature of Iraqi historians: an analytical study

Dr. Hefdallah Yahya Yusuf Al Ahmadi

Head of the Department of History and International Relations, Al Mahwit College of
Education - Sana'a University, Yemen

ثورة العشرين في أدبيات المؤرخين العراقيين: دراسة تحليلية

د. حفظ الله يحيى يوسف الأحمدي

رئيس قسم التاريخ والعلاقات الدولية

كلية التربية المحويت - جامعة صنعاء

The twentieth revolution in the literature of Iraqi historians: an analytical study

Dr. Hefdallah Yahya Yusuf Al Ahmadi

Head of the Department of History and International Relations, Al Mahwit College of Education - Sana'a University, Yemen

Abstract الملخص

مثلت ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني للعراق في 30 حزيران 1920م، أحد أهم الأحداث في تاريخ العراق المعاصر؛ إذ ترتب عليها تأسيس الدولة العراقية الحديثة، وشكّلت نقطة تحول أساسية في سياسة بريطانيا تجاه الشرق الأوسط بصفة عامة.

وتكمن أهمية الدراسة في كونها تتناول حدثاً تاريخياً هاماً لا يزال موضع جدل بين الباحثين والمؤرخين، ومن ثم يمكن لهذه الدراسة أن تسهم في إزالة الغموض الذي يكتنف الكثير من تفاصيل تلك الثورة.

وتتمثل إشكالية الدراسة في وجود تناقض كبير بين الروايات التاريخية لثورة العشرين في أدبيات المؤرخين العراقيين، الأمر الذي يُلقي بظلال من الشك والغموض حول أحداث تلك الثورة، والأطراف الفاعلة فيها ونتائجها، ويثير علامات الاستفهام حول الدوافع الحقيقية لتلك الروايات التي قد يجافي بعضها حقيقة الوقائع التاريخية. ولذلك عمدت الدراسة إلى تحليل تلك الروايات التاريخية والمقارنة بينها، وتوصلت إلى عدة نتائج، منها: وجود شبه إجماع بين المؤرخين العراقيين على الطابع الوطني لثورة العشرين، وأن الثورة كانت نتيجة لعوامل وأسباب داخلية بالأساس، وأن الدوافع الوطنية والقومية شكلت المحرك الرئيس للثورة، في حين مثلت الدوافع الدينية والقبلية، دوافع ثانوية مساعدة، وأن ثورة العشرين أفضت إلى تأسيس الدولة العراقية الحديثة، رغم أن ثمار الثورة جنتها أطراف سياسية لم يكن لها دور كبير فيها.

الكلمات المفتاحية: ثورة العشرين-تاريخ الدولة العراقية-المرجعيات الدينية-الطائفية-الاستعمار البريطاني.

The Twentieth Revolution against the British occupation of Iraq on June 30, 1920, represented one of the most important events in the contemporary history of Iraq. It resulted in the establishment of the modern Iraqi state, and constituted a major turning point in Britain's policy towards the Middle East in general.

The importance of the study lies in the fact that it deals with an important historical event that is still controversial among researchers and historians,

and thus this study can contribute to removing the ambiguity surrounding many of the details of that revolution.

The problem of the study is that there is a great contradiction between the historical accounts of the Twentieth Revolution in the literature of Iraqi historians, which casts shadows of doubt and ambiguity about the events of that revolution, the actors involved in it and its results, and raises question marks about the real motives of those narratives, some of which may contradict the truth of historical facts. Therefore, the study proceeded to analyze and compare these historical accounts, and reached several results, including: there is almost unanimity among Iraqi historians on the national character of the Twentieth Revolution, and that the revolution was the result of mainly internal factors and causes, and that national and national motives formed the main engine of the revolution, while Religious and tribal motives represented secondary, auxiliary motives, and that the twentieth revolution led to the establishment of the modern Iraqi state, although the fruits of the revolution were reaped by political parties who did not have a major role in it.

Keywords: The Twentieth Revolution - the history of the Iraqi state - religious references - sectarianism - British colonialism.

Received: 13 /2 /2021

Accepted: 27 /2 /2021

Address corresponding: Dr. Hefdallah Yahya Yusuf Al Ahmadi
Head of the Department of History and International Relations, Al Mahwit College of Education - Sana'a
University, Yemen - H_alah77@hotmail.com

المقدمة

مثلت ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني للعراق في 30 حزيران 1920م، والتي عُرفت باسم الثورة العراقية الكبرى، أحد أهم الأحداث في تاريخ العراق المعاصر؛ إذ ترتب عليها تأسيس الدولة العراقية الحديثة، وذلك لأول مرة منذ سقوط الدولة العباسية عام 1258م، كما شكّلت نقطة تحول أساسية في سياسة بريطانيا تجاه الشرق الأوسط بصفة عامة.

وعلى الرغم من وجود اتفاق وطني عام، خلال الحقب والأنظمة السياسية المختلفة في العراق، على أهمية تلك الثورة، واعتبارها المؤسسة للحكم الوطني في البلاد، إلا أن ثمة خلافات حادة حول الكثير من تفاصيلها، كدوافعها المباشرة والأطراف الرئيسية الفاعلة فيها، ونتائجها. وقد حفلت أدبيات المؤرخين العراقيين بالكثير من التباينات حول هذه التفاصيل. وكان هذا التباين والاختلاف نابعاً من الخلفيات الإثنية والمناطقية والمدارس الفكرية التي ينتمي إليها هؤلاء المؤرخون.

وتكمن أهمية الدراسة في كونها تتناول حدثاً تاريخياً هاماً لا يزال موضع جدل بين الباحثين والمؤرخين، ومن ثم يمكن لهذه الدراسة أن تسهم في إزالة الغموض الذي يكتنف الكثير من تفاصيل ثورة العشرين.

وتتمثل إشكالية الدراسة في وجود تناقض كبير بين الروايات التاريخية لثورة العشرين في أدبيات المؤرخين العراقيين، الأمر الذي يُلقي بظلال من الشك والغموض حول أحداث تلك الثورة والأطراف الفاعلة فيها ونتائجها، ويثير علامات الاستفهام حول الدوافع الحقيقية لتلك الروايات التي قد يُجافي بعضها حقيقة الوقائع التاريخية. ومن ثم تحاول الدراسة تحليل تلك الروايات التاريخية والمقارنة بينها، بغية التوصل إلى نتائج موضوعية تسهم في إزالة ذلك الغموض، مستعينة ببعض المصادر التاريخية المحايدة.

ولذلك، تسعى الدراسة إلى تحليل أدبيات المؤرخين العراقيين الخاصة بثورة العشرين، بغية الكشف عن الحقائق التاريخية لتلك الثورة، وما اكتنفها من غموض بسبب تناقض الروايات التاريخية بشأنها، وذلك من خلال الإجابة على تساؤل رئيس مفاده: كيف قدمت أدبيات المؤرخين العراقيين ثورة العشرين؟ وما مدى موضوعيتها وحياديتها في تناول الحقائق التاريخية للثورة؟ وبالاعتماد على منهجية مركبة تجمع بين المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن، بغية تحليل أدبيات المؤرخين العراقيين المتعلقة بثورة العشرين، والمقارنة بينها، واستخلاص النتائج. وبالنظر لكثرة الأدبيات العراقية التي تناولت ثورة العشرين، فسيتم اختيار عينة ملائمة من تلك الأدبيات، بحيث تكون ممثلة لأغلب الروايات التاريخية لثورة العشرين.

مدخل

ثورة العشرين: لمحة موجزة

مثّلت ثورة العشرين التي اندلعت في 30 حزيران/ يونيو 1920م، ضد الاحتلال البريطاني للعراق، واحدة من أهم الانتفاضات الشعبية التي شهدتها الوطن العربي جراء عدم إيفاء الحلفاء بالوعود المقطوعة للعرب بنيل الاستقلال من الهيمنة العثمانية. وقد اتخذت الثورة بادئ الأمر شكل العصيان المدني، ثم تحولت إلى مواجهات مسلحة. لكن الثورة تعرضت لانتكاسة بعد حوالي خمسة أشهر من اندلاعها. ومع ذلك كبدت الثورة بريطانيا خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد، وأجبرتها على الرضوخ لمطالب العراقيين في تأسيس حكومة وطنية عراقية، رغم الملاحظات التي أوردها الكثير من المؤرخين على تلك الحكومة، من أنها لم تكن تتمتع سوى باستقلال شكلي.⁽¹⁾

فقد ترتب على الثورة عقد مؤتمر القاهرة في مارس 1921م، الذي حضره وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل، والذي ناقش مستقبل العلاقات بين الدولة العراقية الجديدة وبريطانيا، والنظر في الملك الذي سيُتوج على العراق، ووضع المناطق الكردية،⁽²⁾ ومنح العراق الاستقلال، وربطه بمعاهدة يسهل من خلالها هيمنة بريطانيا عليه.

وعلى الرغم من أن الثورة لم تحقق كل أهدافها، إلا أنها أسهمت في تغيير موقف الحكومة البريطانية والتخلي عن فكرة الحكم المباشر، ومن ثم تأسيس الدولة العراقية، وتشكيل أول حكومة عراقية برئاسة عبد الرحمن النقيب، ثم تولي الملك فيصل الأول عرش العراق في أغسطس 1921.⁽³⁾

ولا تتوقف أهمية ثورة العشرين على العراق، بل تمتد أهميتها إلى سائر منطقة المشرق العربي الكبير، فقد كانت تلك الثورة جزءاً بارزاً من الديناميكية التاريخية التي أسست الخريطة السياسية

(1) البصير، محمد المهدي، تاريخ القضية العراقية، ج1 (بغداد: مطبعة الفلاح، 1923)، ص 359، الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى (قم: مؤسسة المحبين، ب.ت.ن)، ص 458 و478.

(2) آل فرعون، فريق المزهري، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية، ط1 (بغداد: مطبعة النجاح، 1952)، ص 521.

(3) نظمي، وميض جمال عمر، الجذور الفكرية والسياسية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، سلسلة أطروحات الدكتوراه، رقم 5، ط3، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1986)، ص 422، الفياض، عبد الله، الثورة العراقية لسنة 1920 (بيروت: الجامعة الأمريكية، 1954)، ص ص 224-227.

للمنطقة، منذ تلك اللحظة، الخلاص من الحكم العثماني، والصراع مع الاستعمار، وتأسيس الدولة الوطنية، التي نمت في رعايتها التيارات الأيديولوجية الكبرى في العالم العربي في القرن العشرين.

المحور الأول

أسباب الثورة وعواملها ودوافعها في أدبيات المؤرخين العراقيين

تباينت أدبيات المؤرخين العراقيين في تناولها لأسباب ثورة العشرين وعواملها ودوافعها، نتيجة تباين الخلفيات الإثنية والمناطقية والفكرية لهؤلاء المؤرخين. حيث يعزو البعض أسباب الثورة إلى عوامل داخلية بحتة، في حين يعدها البعض الآخر نتيجة تفاعل العوامل والأسباب الداخلية والخارجية معاً. ومن جهة أخرى، وعلى صعيد دوافع الثورة، يرى البعض أن الدوافع الوطنية والقومية كانت المحرك الرئيس للثورة، فيما يعتبرها فريق ثان نتيجة لدوافع أيديولوجية، أما الفريق الثالث فيرى بأن الدوافع القبلية والعشائرية مثلت الدوافع الحقيقية لقيام الثورة.

وعليه، يركز هذا المحور على عرض وتحليل أدبيات المؤرخين العراقيين الخاصة بأسباب الثورة ودوافعها، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: أسباب الثورة وعواملها:

على الرغم من أن ثورة العشرين جاءت في سياق إقليمي ودولي مفعم بالتحويلات السياسية، إلا أن معظم المؤرخين العراقيين يعزون الثورة إلى أسباب وعوامل داخلية بالأساس، أما الأسباب والعوامل الخارجية للثورة، فهناك خلاف بين المؤرخين العراقيين حول طبيعتها، ودرجة تأثيرها في قيام الثورة.

أ- الأسباب والعوامل الداخلية:

هناك شبه إجماع بين المؤرخين العراقيين على أن ثورة العشرين كان نتيجة لأسباب وعوامل داخلية بالأساس، لكنهم اختلفوا حول طبيعة تلك الأسباب والعوامل ودرجة تأثيرها في قيام الثورة. وعليه سوف نعرض للأسباب والعوامل الداخلية لثورة العشرين، كما وردت في أدبيات المؤرخين العراقيين، وبيان مدى التوافق أو الاختلاف بين أولئك المؤرخين بشأن هذه الأسباب والعوامل، ودرجة تأثيرها في الثورة، وذلك على النحو الآتي:

1- سوء الإدارة المحلية الإنجليزية وسوء معاملتها للعراقيين:

يكاد يُجمع المؤرخون والمؤلفون العراقيون على أن سوء الإدارة الإنجليزية وتعالى المسؤولين الإنجليز، وعدم مراعاتهم للمشاعر الدينية والتقاليد المحلية الموروثة وأمور أخرى مشابهة، لعبت الدور الأساس في إذكاء نار الحقد في نفوس العراقيين ضد الإنجليز، الأمر الذي انعكس واضحاً في ثورة العشرين.⁽⁴⁾ وفي هذا السياق، يؤكد كل من البصير والمظفر والحسني والياسري وآل بزرگان ونظمي وآل فرعون، على أن من أهم عوامل اندلاع ثورة العشرين، هو سوء الإدارة الإنجليزية وأخطائها، والتضييق على الحرية الفكرية للعراقيين، والمحاولات التي بذلتها السلطة لفرض نوع من السيطرة الاستعمارية المباشرة على العراق، والتعديات المتواصلة على السكان الآمنين، وإشاعة الفرقة بين العشائر والطوائف الدينية، وسياسة الإرهاب والبطش، وامتهان الحكام لكرامة الناس؛ حيث عجلت هذه السياسة بقيام الثورة.⁽⁵⁾

وعلى الرغم من انتقاده للروايات السابقة، من حيث مبالغتها في المظالم الإنجليزية بحق العراقيين وتقييد الحريات العامة، يؤكد الوردى على أن رعونة بعض الحكام الإنجليز، وخاصة في تعاملهم مع شيوخ العشائر، كانت من أهم أسباب ثورة العشرين.⁽⁶⁾ كما يشير إلى أن الكثير من العراقيين الذين استقبلوا الاحتلال البريطاني بالارتياح في أول الأمر، أخذوا بمرور الأيام يدركون أن الحكم الجديد

(4) أحمد، كمال مظهر، صفحات من تاريخ العراق المعاصر (بغداد: مكتبة البديسي، 1987)، ص 72.

(5) ينظر في: البصير، ص 76، المظفر، كاظم، ثورة العراق التحررية، ج 1 (النجف: ب.د.ن، 1972)، ص ص 1-3: مشار إليه في: الوردى، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، حول ثورة العشرين، الجزء الخامس (بغداد: ب.د.ن، 1977)، ص 11، الحسني، ص ص 146-150، الياسري، عبد الشهيد، البطولة في ثورة العشرين (النجف: ب.د.ن، 1966)، ص ص 11-12: مشار إليه في: الوردى، ص 12، آل بازركان، علي، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية (بغداد: ب.د.ن، 1954)، ص 15، نظمى، ص ص 209-210، آل فرعون، ص ص 99-100 و ص ص 455-456.

(6) الوردى، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، حول ثورة العشرين، الجزء الخامس (بغداد: ب.د.ن، 1977)، ص ص 28-29.

الذي أنقذهم من مظالم الحكم التركي لا يخلوا هو الآخر من المظالم، وبدا أخذ التذمر ينتشر بينهم تدريجياً حتى وصل إلى مرحلة الثورة. (7)

لكن الوردية، من ناحية أخرى، يقدم سبباً موضوعياً يبدو وجيهاً لتذمر العراقيين من الحكم الإنجليزي، وهو أن العراقيين كانوا قد تعودوا على نظام الحكم التركي في العراق، الذي كان يترك الناس يفعلون ما يشاؤون ولا يتدخل في شؤونهم إلا فيما يخص جباية الضرائب، ولهذا شاعت الغزوات والمعارك القبليّة، مما أدى إلى انتشار قيم البداوة بين الناس. فكانوا يحلون مشاكلهم بأنفسهم دون اللجوء إلى الحكومة، وكان الأتراك متساهلين في تطبيق القوانين، فلما جاء الاحتلال البريطاني وجد الناس فيه صرامة شديدة في تطبيق القوانين، وقل تأثير الرشوة والوساطة، وحلت محلها الخشونة وقلة المبالاة بمشاعر الناس ومكانتهم الاجتماعية. (8)

ويتفق كل من **نظمي والفياض** مع رواية الوردية، في أن من أسباب الثورة، سوء تصرف الإدارة البريطانية التي أرادت أن تحكم العراق على غرار حكمها للهند، من جهة، وفرضها لسيطرة إدارية صارمة بتطبيق القوانين والأنظمة في بلاد أفسد الحكم فيها الأتراك لدرجة لا تطاق. (9)

2- الأوضاع الاقتصادية:

مثلت الأوضاع الاقتصادية في العراق بعد الاحتلال الإنجليزي، إحدى العوامل المحركة لثورة العشرين، وذلك وفقاً لما أوردهته معظم أدبيات المؤرخين العراقيين. ومع ذلك، اختلف المؤرخون العراقيون حول أهمية هذه العوامل في تأجيج نار الثورة. وفي هذا الإطار، يؤكد كل من **الحسني والمظفر وأحمد وآل بزركان والبصير ونظمي والفياض**، على أن من أسباب الثورة قيام الإنجليز بسلب ثروة البلاد المعاشية من أبناء البلاد، فاحتكروا الأقوات وابتاعوها بأبخس الأثمان ثم باعوها بأثمان غالية، وبلغت فيه الضرائب ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل الاحتلال، الأمر الذي أدى إلى حدوث مجاعة. وقد تأثرت بهذا العامل طبقة الفلاحين قبل غيرها مما دفعها لأن تكون في طليعة القائمين بتلك الثورة. (10)

(7) المرجع نفسه، ص 16-17.

(8) المرجع نفسه، ص 17-19.

(9) نظمي، ص 341، الفياض، ص 42.

(10) الحسني، ص 149، المظفر، ص 1-3، أحمد، ص 31-32، آل بزركان، ص 15، البصير، ص 66، نظمي، ص 378، الفياض، ص 42-49.

وعلى الرغم من اتفاق المؤرخ **علي الوردي** مع بعض ما جاء في الروايات المشار إليها آنفاً، بخصوص ارتفاع أسعار الحبوب بشكل كاد يؤدي إلى مجاعة في بغداد، وزيادة الضرائب ثلاثة أضعاف ما كانت عليه في العهد التركي، مما زاد من التذمر لدى دافعي الضرائب ولاسيما شيوخ العشائر⁽¹¹⁾، إلا أنه انتقد تلك الروايات، واعتبرها أقرب إلى أسلوب الشعر والخطابة منه إلى الموضوعية والمنهج العلمي. مؤكداً على أن عهد الاحتلال الإنجليزي، وإن لم يكن خالياً من المظالم والمثالب، إلا أن "الذي أعرفه معرفة وثيقة أن الأتراك هم الذين لجأوا إلى المصادرة والنهب، أما الإنجليز فكانوا على العكس من ذلك يشترون الحبوب وغيرها من المواد المحلية بأسعارها السائدة في السوق ويدفعون أثمانها نقداً، وقد أدى ذلك إلى ظهور تضخم نقدي هائل لم يشهد العراق مثله من قبل".⁽¹²⁾ وذلك جراء ما بذله الإنجليز من أموال في شراء ما يحتاجونه لجيوشهم من أطعمة، وفي بناء الثكنات، والقناطر، وتعبيد الطرق، ومد السكك الحديدية.⁽¹³⁾

وعليه نجد أن **علي الوردي** لا ينكر دور العامل الاقتصادي في قيام الثورة، لكنه يختلف مع الروايات التاريخية السابقة في تقديره لأهمية ذلك العامل في تأجيج الثورة، حيث يحاول التقليل من أهميته إزاء العوامل الأخرى. أما **آل فرعون** فلم يول الأوضاع الاقتصادية أهمية تذكر في سياق تحليله لأسباب الثورة.⁽¹⁴⁾

3- السياسة الإنجليزية تجاه العشائر:

كان للسياسة التي اتبعتها الإدارة الإنجليزية تجاه العشائر العراقية، انعكاساتها السلبية على سلطات الاحتلال الإنجليزي في العراق، حيث شكلت إحدى بؤر السخط الاجتماعي على الإنجليز، ومن ثم أسهمت في قيام الثورة. وهو ما يؤكد معظم المؤرخين العراقيين. حيث يشير **الحسني** إلى أن القبائل في العراق كانت تتمتع بنفوذ واسع، واستقلال كبير خلال حكم الأتراك، فلما احتلت الجيوش البريطانية العراق، خففت من هذا النفوذ وقضت على هذا الاستقلال، بالإضافة إلى الإهانات التي كان يعتمد توجيهها الضباط البريطانيون إلى رؤساء القبائل والعشائر، بهدف الحط من مكانتهم وتقليص نفوذهم. وكان ذلك من جملة الأسباب التي ألبت عليهم رؤساء القبائل وأفرادها.⁽¹⁵⁾

(11) الوردي، ص ص 21-23.

(12) المرجع نفسه، ص ص 12-13.

(13) المرجع نفسه، ص 21.

(14) آل فرعون، ص ص 58-68.

(15) الحسني، ص ص 154-155.

وقد أكد الوردى ما ذهب إليه الحسنى، حيث يرى بأن الاحتلال البريطاني سار على سياسة توحيد العشائر لا تشيبتها كما كان الحال في العهد التركي، من خلال اختيار شيخ واحد في كل منطقة ودعمه بالمال والنفوذ لكي يكون مسؤولاً في منطقتة عن الأمن والنظام، وحماية مصالحهم. وهذه السياسة، وإن كانت قد وطدت من سيطرت الإنجليز على الريف العراقي، إلا أنها جعلتهم مكروهين من قبل عدد كبير من شيوخ العشائر. (16) كما يشير الوردى إلى ما أسماه بالعدالة المكروهة؛ حيث كان بعض الحكام الإنجليز يفتخرون بأنهم يتوخون العدالة والمساواة في أحكامهم، فلا يفرقون بين صغير وكبير أو بين الرئيس والمرؤوس، مما أثار عليهم شيوخ القبائل والعشائر، الذين فقدوا مكانتهم التي كانت في العهد التركي. (17)

ويتفق كل من نظمي والفياض مع رواية الحسنى والوردى، في أن السياسة البريطانية تجاه العشائر أفضت إلى نتائج عكسية، وكانت إحدى العوامل الممهدة للثورة. (18)

وفي الوقت الذي يشير فيه آل فرعون إلى أن الإدارة البريطانية تعاملت مع العشائر في البداية بكل احترام، وأجزلت لهم العطاء ووفرت لهم الأموال، (19) إلا أنه يذكر في موضع آخر بأن حاكم الديوانية الميجر ديلي كان يتعامل مع الناس بغطرسة ويستهين بكرامة زعماء العشائر، مما دفعهم إلى الثورة. (20) وهو ما يؤكد البصير؛ حيث يشير إلى مساندة الإنجليز لشيوخ القبائل في موضوع الأراضي. (21)

4- نتائج الاستفتاء:

ينفق معظم المؤرخين العراقيين على أن الاستفتاء الذي أجرته الإدارة البريطانية في العراق عام 1918م، كان له نتائج سلبية على الاحتلال، حيث زاد من السخط الشعبي وخلق حالة من الاستقطاب والانقسام الحاد بين الفئات المناهضة والمالية لبريطانيا. وفي هذا الصدد يرى آل فرعون بأن الاستفتاء كان الشرارة التي ألهبت نيران الثورة. (22) كما يشير نظمي إلى أن الاستفتاء أدى إلى حالة من الاستقطاب والانقسام الحاد بين الفئات المناهضة والمالية لبريطانيا؛ ومن ثم فإنه لم يفشل فقط في

(16) الوردى، ص ص 24-25.

(17) المرجع نفسه، ص 26.

(18) نظمي، ص ص 283-285، الفياض، ص 108.

(19) آل فرعون، ص 61.

(20) المرجع نفسه، ص 455.

(21) البصير، ص 66.

(22) آل فرعون، ص 69.

التعبير عن الرأي العام المحلي بشكله الصحيح، بل غدى أيضا عملية ثورية أدت إلى أحداث 1920م.
(23)

ومن جهته، يؤكد الوردى على أن الاستفتاء كان حافزاً على نشوء الحركة الوطنية العراقية، وهي الحركة التي تبناها المعارضون للحكم البريطاني واتخذوا فكرة الاستقلال لهم شعاراً. فالجهود التي بذلها المندوب البريطاني في العراق وأعوانه في اثناء الاستفتاء لجعل العراقيين يطالبون بالحكم البريطاني المباشر أنتج رد فعل لدى المعارضين جعلهم يطالبون بالاستقلال.⁽²⁴⁾ وهو ما يؤكد الحسنى أيضاً.⁽²⁵⁾

لكن بعض المؤرخين، وإن كانوا قد تحدثوا عن الاستفتاء، إلا أنهم لم يشيروا إليه كعامل هام من عوامل قيام الثورة، ويأتي على رأس هؤلاء كل من البصير⁽²⁶⁾ والفياض.⁽²⁷⁾

5- أحداث دير الزور وتلعفر:

تباينت روايات المؤرخين العراقيين حول دور أحداث تلعفر ودير الزور في ثورة العشرين. حيث يشير الوردى إلى أن تلك الأحداث مثلت دعاية مؤثرة بين عشائر الفرات الأوسط، وكان لها دور في التمهيد لثورة العشرين.⁽²⁸⁾ ويتفق كل من نظمي والفياض وآل بازركان وفراي والحسنى، مع ما ذكره الوردى؛ بأن تلك الأحداث كانت "مقدمة لانتفاضة عامة".⁽²⁹⁾ أما البصير، فقد أشار إلى أحداث دير الزور ودورها الهام في مقاومة الاحتلال الإنجليزي، غير أنه لم يشر بوضوح لعلاقة تلك الأحداث بثورة العشرين.⁽³⁰⁾

(23) وميض نظمى، ص 317.

(24) الوردى، ص 92.

(25) الحسنى، ص 43.

(26) البصير، ص ص 81-88.

(27) الفياض، ص ص 66-69.

(28) الوردى، ص ص 146-148، ص 171.

(29) نظمى، ص 195، الفياض، ص 111، آل بازركان، ص 16، فراي، على هامش الثورة العراقية الكبرى (بغداد: ب.د.ن.، 1935)، ص ص 15-20،

الحسنى، ص ص 91-99.

(30) البصير، ص ص 117-123.

• السبب المباشر لانطلاق شرارة الثورة:

يكاد يُجمع المؤرخون العراقيون على أن حادثة اعتقال شعلان أبو الجون رئيس قبيلة الطوالم وحبسه، من قبل السلطات الإنجليزية في منطقة الرميثة، وتحريره بالقوة من قبل أفراد عشيرته، كانت السبب المباشر لاندلاع الثورة أو الشرارة الأولى للثورة. وإن كان بعض المؤرخين العراقيين يعتبر تلك الحادثة مجرد حادثة من حوادث كثيرة سبقتها مهدت للثورة، وليست بالضرورة هي بداية الثورة.

وفي هذا السياق، يؤكد الوردی على أن نفي ابن الشيرازي من قبل الاحتلال البريطاني أثار ضجة كبيرة في الفرات الأوسط، غير أن شرارة الثورة انطلقت بسبب اعتقال شعلان أبو الجون رئيس قبيلة الطوالم، الذي أرسل إلى قبيلته، فجاءوا واشتبكوا مع الجنود الإنجليز وحرروا الشيخ شعلان من الحبس. ومن ثم أخذ شعلان يجمع أفراد عشيرته ويقتلعون أخشاب سكة الحديد التي تمر بأراضيهم، وتلك هي بداية اندلاع الثورة.⁽³¹⁾ وهي ذات الرواية التي يوردها **نظمي، والبصير، وآل فرعون، والفياض، والحسني.**⁽³²⁾

غير أن **أحمد** لا يتفق مع الروايات السابقة، إذ يقول بأن "يوم 30 حزيران ليس بالضرورة هو بداية الثورة كما يعتقد الكثيرون، فقد وقعت أحداث قبل ذلك التاريخ لا يمكن فصلها عن صلب الثورة، كالأحداث التي شهدتها بغداد والنجف والحلة وغيرها، كما أن أحداث بغداد ومظاهراتها واعتقال رجالها هي التي حركت العراق بأسره."⁽³³⁾

ب- الأسباب والعوامل الخارجية:

يكاد يُجمع معظم المؤرخين العراقيين على أن ثورة العشرين كان لها مؤثراتها الخارجية، لكنهم اختلفوا حول بعض العوامل الخارجية، وفيما إذا كان تأثيرها قد تم بصورة مباشرة أو غير مباشرة في قيام الثورة. وعليه سوف نعرض للعوامل الخارجية المؤثرة في قيام ثورة العشرين، كما وردت في أدبيات المؤرخين العراقيين، وبيان مدى التوافق أو الاختلاف بين أولئك المؤرخين بشأن تلك العوامل ودرجة تأثيرها في قيام الثورة، وذلك على النحو الآتي:

(31) الوردی، ص ص 221-222.

(32) نظمی، ص 377، البصير، ص ص 201-202، آل فرعون، ص 458-459، الفياض، ص 133، الحسني، ص 233.

(33) أحمد، ص 53.

1- وعود الحلفاء ونكوصهم عنها:

يكاد يُجمع المؤرخون العراقيون على أن الوعود التي أطلقها الحلفاء ثم تراجعوا عنها بشأن استقلال العرب، كان لها دور كبير في تأجيج المشاعر الوطنية للعراقيين، مما مهد لقيام الثورة. حيث يؤكد البصير على أن "أكبر الأسباب التي دعت إلى نشوب الثورة هو تصريح الحلفاء بوعود سياسية رسمية مفادها الاعتراف باستقلال العرب وفي جملتهم العراقيون، بالإضافة إلى إعلان مبادئ الرئيس ولسن الذي كان وقتئذ رسول الحرية الأكبر".⁽³⁴⁾ ويتفق الحسني مع البصير في هذا الصدد، إذ يؤكد على أن عبث الحلفاء بالعهد التي قطعوها للعرب، كان من المؤثرات الخارجية في الثورة العراقية.⁽³⁵⁾ كذلك يرى الفيض بأن من أسباب الثورة عدم وفاء الحكومة البريطانية بوعودها التي قطعتها على نفسها أكثر من مرة، وأعلنت فيها أنها جاءت محررة لا فاتحة. ثم فاجأت العراقيين بإعلان قرار مؤتمر سان ريمو في 25 أبريل 1920م، الذي قضى بانتداب بريطانيا على العراق، وقبول بريطانيا ذلك في 3 مايو 1920م.⁽³⁶⁾ كما يؤكد الوردى على ذات الرواية، إذ يؤكد على أن السياسة البريطانية أغدقت الوعود على العرب خلال الحرب العالمية الأولى، وكان من أشهر تلك الوعود بيان "مود"، الذي صدر عقب احتلال بغداد، والذي تضمن العبارة المشهورة "إننا جنناكم محررين لا فاتحين".⁽³⁷⁾ كما يتفق كل من نظمي وأحمد، على أن وعود الحلفاء بمنح العراق الاستقلال ثم نكوصهم على هذه الوعود كانت من العوامل التي مهدت لقيام الثورة.⁽³⁸⁾ حيث جعلت العراقيين، كما يقول آل فرعون، يفكرون في أخذ استقلالهم بالقوة، ومن هنا نشأت فكرة الثورة.⁽³⁹⁾

2- قيام الثورة العربية في الحجاز:

يتفق كثير من المؤرخين العراقيين على أن قيام الثورة العربية في الحجاز كان لها وقعها على العراقيين، فقد أثارت المشاعر القومية لديهم. حيث يؤكد البصير على أن قيام الثورة العربية في الحجاز وامتداد شررها إلى الكثير من أنحاء العراق، وانضمام الكثير من الضباط العراقيين في الجيش

(34) البصير، ص 55.

(35) الحسني، ص 142.

(36) الفيض، ص 107.

(37) الوردى، ص ص 41-42.

(38) نظمي، ص 163، أحمد، ص 55.

(39) آل فرعون، ص 68.

العثماني إليها، كانت ذات علاقة قوية بتطور الحالة السياسية في العراق، وأنها من العوامل القوية في إثارة الشعور القومي فيه." (40) وهو ما يؤكد كل من **الفياض والحسني**. (41)

وفي المقابل لا يتفق **نظمي** مع الروايات السابقة؛ إذ يؤكد على أنه وباستثناء الموقف المتعاطف لأبناء الفرات الأوسط مع الثورة الهاشمية في الحجاز، بسبب تحدر الهاشميين من سلالة علي ومركزهم الديني، فإن تلك الثورة لم تثر أي انفعال خاص في العراق، ولم يكن هناك أي رد فعل ايجابي إزاءها بين الوطنيين العراقيين، وذلك بسبب أن الهاشميين لم يكونوا قبل عام 1916م جزءاً فعالاً من الحركة القومية العربية، كما أن البرنامج الهاشمي اتسم بنظرة محافظة وبالتالي لم يكن مركز جذب للقوميين العرب الشبان، فضلاً عن العلاقة الوثيقة لتلك الثورة بالحكومة البريطانية. (42) أما آل فرعون والوردي فلم يشير إلى الثورة العربية في الحجاز كعامل مؤثر في قيام ثورة العشرين.

3- قيام الحكومة العربية في سوريا:

هناك اتفاق بين غالبية المؤرخين العراقيين على أن قيام الحكومة العربية في سوريا، كان له تأثير على ثورة العشرين، غير أن البعض يعتبر ذلك التأثير غير مباشر، وينفي البعض وجود تأثير مباشر لهذه الحكومة على الثورة العراقية. حيث يرى كل من **البصير والحسني والفياض ونظمي والوردي** بأن قيام الحكومة العربية في سوريا وانخراط كثير من الضباط العراقيين فيها وسعي حزب العهد العراقي لأن تكون للعراق حكومة عربية، كل ذلك أوجد غلياناً سياسياً داخل العراق ضد الاستعمار الإنجليزي، وكان له دور في إنعاش الروح الوطنية للعراقيين. (43)

وفي مقابل الروايات السابقة، ينفي **آل فرعون** أي تأثير لقيام الحكومة الفيصلية في سوريا على الثورة العراقية، وأنه لم يكن للضباط العراقيين في سوريا أي يد في الثورة، ويرى بأن "ثورة الفرات ابتدأت فعلياً في أواخر سنة 1917م، واشتدت في عام 1918م، وتدافعت حوادثها بعد ذلك مدفوعة بشرف الغاية، وهي الاستقلال". (44)

(40) البصير، ص ص 73-75.

(41) الفياض، ص 103، الحسني، ص ص 41-42.

(42) نظمي، ص ص 149-151.

(43) البصير، ص 76، الحسني، ص 142، الفياض، ص 104، نظمي، ص ص 329-330، الوردي، ص 45.

(44) آل فرعون، ص 547.

4- تأثير أنباء الثورة المصرية عام 1919م:

ينفق المؤرخون العراقيون على وجود تأثير لأنباء الثورة المصرية عام 1919م على العراقيين. حيث يؤكد كل من البصير، والحسني، ونظمي، والفياض، والوردي، على أنه كان للثورة المصرية تأثير قوي في نفوس وأفكار العراقيين، وألهبت الحماسة في نفوس العراقيين، وأسهمت في غرس المشاعر المناوئة لبريطانيا، وأنعشت الروح الوطنية العراقية.⁽⁴⁵⁾ فيما لم يشر آل فرعون إلى تأثير لهذه الثورة على ثورة العشرين.

5- تأثير الثورة البلشفية:

اختلف المؤرخون العراقيون حول تأثير الثورة البلشفية في روسيا على ثورة العشرين. حيث يؤكد الوردي بأن البلاشفة عملوا على مساعدة كل حركة مناوئة للاستعمار، ولهذا ساعدوا الحركة الكمالية في تركيا، والحركة المعادية لبريطانيا في إيران، وأخذوا يرسلون دعواتهم ومنشوراتهم إلى العراق عن طريق زوار وطلبة إيرانيين.⁽⁴⁶⁾

لكن وفي المقابل، يرى **نظمي** بأن تأثير الثورة البلشفية على الأحداث في العراق عام 1920، هو أمر مبالغ فيه، فليس ثمة ما يشير إلى أي تأثير مباشر لها. كما أن موقف القوميين العراقيين تجاه الثورة البلشفية يعكس محدودية الصلات بين الحركتين. غير أنه من المؤكد وجود تأثير غير مباشر يتمثل بفضح البلاشفة لمعاهدة سايكس بيكو وتأثير ثورتهم في إضعاف الإمبريالية البريطانية عالمياً.⁽⁴⁷⁾ ويتفق **الفياض** مع ما ذهب إليه **نظمي**. حيث ينفي وجود أي تأثيرات مباشرة للبلاشفة على الثورة العراقية، وهناك مجهود ذو أثر ضعيف اقتصر على الدعاية فقط.⁽⁴⁸⁾ في حين أن **البصير** و**الحسني** و**آل فرعون** لم يشيروا إلى الدعاية البلشفية، ولا لدورها في الثورة العراقية.

(45) البصير، ص 52، الحسني، ص 142، نظمي، ص ص 329-330، الفياض، ص 104، الوردي، ص 48.

(46) الوردي، ص 51.

(47) نظمي، ص 331.

(48) الفياض، ص 125-128.

6- الحركة الوطنية في تركيا:

يتفق عدد من المؤرخين العراقيين على وجود تأثير للحركة الوطنية في تركيا على ثورة العشرين. حيث يؤكد **نظمي** على أن العراقيين كانوا يراقبون عن كثب تقدم الحركة الوطنية في تركيا وانتصارات مصطفى كمال⁽⁴⁹⁾ ويرى **الوردي** بأن الدعاية الآتية من تركيا كانت تلي الدعاية السورية في قوتها واتساع نطاقها، وأن الحركة الوطنية التي أنشأها مصطفى كمال في تركيا أنعشت الآمال لدى الأتراك ولدى العراقيين المحبين لهم.⁽⁵⁰⁾ في حين لم يشر كل من **الفياض** و**البصير** وآل **فرعون** و**الحسني** إلى تأثير هذه الدعاية في ثورة العشرين.

7- الدعاية من إيران:

باستثناء **الوردي** الذي يرى بأن هذه الدعاية المناوئة لبريطانيا انتقلت مع الزوار الإيرانيين للعراق بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وكان لها تأثير في الثورة⁽⁵¹⁾، لم يشر كل من **الحسني** و**البصير** وآل **فرعون** و**فياض** و**نظمي** إلى دور هذه الدعاية، في قيام الثورة.

ثانياً: دوافع الثورة:

اختلف المؤرخون العراقيون حول دوافع ثورة العشرين، فمنهم من قال بالدوافع الوطنية والقومية للثورة، ومنهم من عزاها لدوافع أيديولوجية، في حين يعتبرها فريق ثالث ذات دوافع قبلية وعشائرية، وذلك على النحو الآتي:

أ- الدوافع الوطنية والقومية للثورة:

يؤكد معظم المؤرخين العراقيين على أن الدوافع الوطنية والقومية شكلت المحرك الرئيس لثورة العشرين، في حين مثلت الدوافع الدينية والقبلية دوافع ثانوية مساعدة. ويأتي على رأس هذا الفريق كل من **نظمي** و**فراي** و**الفياض** و**الحسني** وآل **فرعون** و**البصير**. حيث يؤكد **نظمي** على أن الثورة كانت

(49) نظمي، ص 329-330.

(50) الوردي، ص 48.

(51) المرجع نفسه، ص 50.

تعبّر عن الروح الوطنية والقومية، وأن الدوافع الدينية والقبلية كانت قد تماهت مع الدوافع الوطنية والقومية،⁽⁵²⁾ فمعظم العشائر كانت قد تبنت أهداف القوميين.⁽⁵³⁾ ومن جهته، يؤكد فراتي على أن "الثورة العراقية عناصر تاريخية وقومية ووطنية، لم تحتضنها مدينة من المدن ولا قبيلة واحدة بل ساهمت فيها سائر مدن العراق وأريافه كل حسب امكانياتها وظروفها."⁽⁵⁴⁾ وفي ذات السياق، يؤكد **الفياض** على أن الدافع الوطني كان واضحاً في أذهان كثير من الذين اشتركوا في الثورة، وخاصة الطبقة المثقفة من رجال المدن، ويأتي المشتغلون بالحركة الوطنية من أهل المدن المقدسة وبعض زعماء القبائل في الرعيّل الأول من هؤلاء. أما رجال القبائل وهم العنصر العسكري في الثورة، فقد أثّرت وطنيتهم، وحاول قادة الثورة أن يحولوا عصبيتهم المحلية والقبلية إلى حركة وطنية مقدسة، وقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير، لاسيما وأن العامل الديني، والذي هو أهم الأسباب في نظرنا، لم يصطدم بالعامل الوطني.⁽⁵⁵⁾ واستعانت الحركة الوطنية برجال الدين لإنقاذ الوطن، وتناسى الناس خلافاتهم الدينية والمذهبية.⁽⁵⁶⁾

ويؤكد **البصير** على أن قادة العهد والحرس سارا تحت علم القومية المبارك، كما أن زعماء الفرات الأوسط وكذلك العلماء وعلى رأسهم الشيرازي قد عملوا على شد أزر الحركة القومية ليتقوى بها مركز الإسلام.⁽⁵⁷⁾

أما **الحسني وآل فرعون** فيؤكدان على الدوافع الوطنية دون القومية، خاصة وأنهما ينفيان أي دور للحركات القومية في الثورة. وفي ها السياق، يشير **الحسني والفرعون** إلى أن شيوخ العشائر كانوا وطنيين متحمسين همهم الوحيد هو استقلال العراق،⁽⁵⁸⁾ لكنهما، في ذات الوقت، يؤكدان على الدور الهام للعامل الديني في قيام الثورة. حيث يؤكد آل فرعون على أن الاجتماعات كانت تجمع الطبقات كافة ومتبايني الأفكار والآراء، وكلهم منجرفون بالتيار الوطني المقدس...، في سبيل تحقيق رغبات الجميع في التحرر والاستقلال....، ويضيف بأن "العراقيين ما كانوا يقصدون غير الحصول على الاستقلال التام."⁽⁵⁹⁾

(52) نظمي، ص 390، وص 379.

(53) المرجع نفسه، ص 391.

(54) فراتي، ص ص 15-16.

(55) الفياض، ص 115.

(56) المرجع نفسه، ص 102.

(57) البصير، ص 53.

(58) آل فرعون، ص 24؛ الحسني، ص 170.

(59) آل فرعون، ص ص 98-99.

ب-الدوافع الدينية:

على الرغم من أن معظم المؤرخين العراقيين ينفون بأن يكون العامل الديني أو الطائفي هو الدافع لقيام ثورة العشرين، إلا أن البعض منهم يؤكد على وجود دور ما للعامل الديني كعامل مساعد في انتشار الثورة والتأثير على زعماء العشائر.

حيث ينفي **نظمي** أن يكون العامل الديني هو الدافع للثورة. إذ يؤكد على أن رجال الدين كانوا مترددين ومضطربين.⁽⁶⁰⁾ كما يعارض تلك الآراء التي تؤكد على الطابع الشيعي للثورة،⁽⁶¹⁾ وأنه ليس هناك أي دليل على نية الشيعة تشكيل دولة مستقلة بهم كما يزعم البعض، بل ثمة شواهد كثيرة تشير إلى العكس من ذلك. فمعظم رجال الدين الذين أسهموا في الحركة (الشيرازي وابنه والخالصي والصدر والجزائري وبحر العلوم) كانوا قد قبلوا بشكل جلي برنامج الحركة القومية العربية: عراق موحد ومستقل تماماً، ملك عربي، وتطلع للوحدة العربية.⁽⁶²⁾ كما أن المجتهدين البارزين الذين عملوا من أجل الثورة كانت لديهم في معظم الأحيان باستثناء الصدر، ميول عثمانية. وهذه الحقيقة تنقض الرأي القائل بأن حركتهم كانت طائفية.⁽⁶³⁾ ويضيف بأنه " لا يمكن أن نتوقع اختفاء الطائفية بمعجزة في مجتمع كالعراق في 1920 إلا أن هؤلاء القوميون وجدوا في الإسلام مظلة مفيدة ومشتركة، وكان الإسلام بالنسبة لهم دعوة سياسية لا ثيوقراطية.⁽⁶⁴⁾

وفي ذات السياق، ورغم أن كل من **الفياض والوردي والبصير والحسني وآل فرعون**، ينفون بأن يكون الدافع الديني هو المحرك لثورة العشرين، إلا أنهم يؤكدون على وجود دور ما للعامل الديني كعامل مساعد في انتشار الثورة والتأثير على زعماء العشائر. ففي الوقت الذي يؤكد فيه **الفياض** على أن العامل الديني كان أهم الأسباب التي نتجت عنها الثورة، بل إن اقتناع القبائل بالانضمام للثورة كان بسبب تأثير العامل الديني ونضج العامل الوطني في أذهان بعض زعمائهم.⁽⁶⁵⁾ إلا أنه يؤكد على محورية الدافع الوطني في قيام الثورة. وفي ذات السياق، ينفي **الوردي** بأن يكون الدافع الديني هو المحرك للثورة، إلا أنه يؤكد على أن هذا العامل كان من أهم العوامل في انتشار الثورة، إن لم يكن أهمها جميعاً. ويقصد بذلك اتجاه الناس إلى اتهام كل من لا يؤيد الثورة بأنه كافر نصراني، مما حدا

(60) نظمى، ص 379.

(61) حيث أشار كل من النفيسي وهوكارث إلى أن الثورة كانت بالدرجة الرئيسية من عمل الشيعة، وجرى تنظيمها من النجف وكربلاء. ينظر في: نظمى، ص 392.

(62) نظمى، ص 396.

(63) المرجع نفسه، ص 395.

(64) المرجع نفسه، ص 395.

(65) الفياض، ص 120.

بعدد غير قليل من شيوخ العشائر إلى الانضمام للثورة تحت تأثير هذا العامل، حيث كانوا يخشون من أن تهبط مكانتهم الاجتماعية من جراء إتهام الناس لهم بالكفر والنصرانية. ومن ثم فالقضية ليست قضية دينية بحتة بقدر ما هي قضية اجتماعية.⁽⁶⁶⁾ ويؤكد كل من **البصير والحسني وآل فرعون** كذلك، على أن الثورة كانت ذات دوافع وطنية وليست دينية،⁽⁶⁷⁾ وفي ذات الوقت يؤكدون على الدور الهام للعامل الديني في قيام الثورة وانتشارها، بل ينفي **البصير** ما قيل بشأن سعي علماء الشيعة لإنشاء حكومة دينية تآمر بأوامر الشريعة.⁽⁶⁸⁾

ج- الدوافع الطبقيّة:

على الرغم من أن بعض المؤرخين الماركسيين العراقيين ينسبون دوراً كبيراً للبرجوازية العراقية في الثورة،⁽⁶⁹⁾ إلا أن معظم المؤرخين ينفون بأن يكون للبرجوازية العراقية دور في قيام الثورة. حيث يؤكد **نظمي** على أن عبء زيادة الضرائب كان يقع على الفلاحين والتجار، وهو ما دفع بعض المثقفين العراقيين إلى التنويه بأن الثورة العراقية قد حركتها وقادتها البرجوازية التجارية.⁽⁷⁰⁾ مشيراً إلى أن المثقفين العراقيين بمن فيهم الضباط السابقون، وعشائر الفرات الأوسط وعلماء الدين، كانوا هم قاعدة الثورة، ولا يمكن ملاحظة أي دور جهادي للبرجوازية العراقية، ومما يدحض هذا الاستنتاج أن عبء الضرائب كان يقع أساساً على الفلاحين منه على التجار.⁽⁷¹⁾ كما أن الجيش المحتل كان يمثل طاقة استهلاكية مما أدى إلى ازدهار التجارة، وبالتالي كان الوضع العام ملائماً لطبقة التجار، ناهيك عن أن السياسة الاقتصادية للإدارة استثارت عداة المثقفين (في بغداد والموصل)، وكسبت ولاء كبار التجار الذين كانوا يؤيدون بقوة الإدارة البريطانية التي أحسنت معاملتهم.⁽⁷²⁾

د- الدوافع العشائرية والقبلية:

يؤكد فريق من المؤرخين العراقيين على أن الدوافع العشائرية والقبلية شكلت المحرك الرئيس لثورة العشرين، نافيةً أن تكون الثورة ذات دوافع وطنية. ويأتي على رأس هذا الفريق كل من **الوردي**

(66) الوردي، ص 345.

(67) آل فرعون، ص 24؛ البصير، ص 51-54؛ الحسني، ص 170.

(68) البصير، ص 54.

(69) حسن، محمد سلمان، طلائع الثورة العراقية: العامل الاقتصادي في الثورة العراقية الأولى (بغداد: مطابع جريدة الجمهورية، 1985)، ص 14، و ص 23-24.

(70) نظمي، ص 229.

(71) المرجع نفسه، ص ص 229-230.

(72) المرجع نفسه، ص ص 231-233.

وآل بازركان. حيث ينفي الوردى بأن تكون الثورة انتفاضة وطنية أو مناهضة للاحتلال جمعت بين زعماء القبائل في منطقة وسط الفرات وبين الوطنيين في المدن العراقية. على العكس من ذلك، كانت انتفاضة قبلية مشحونة بالمصالح الشخصية الضيقة للشيوخ القبليين. ويضيف بأن تصوير هذه الانتفاضة بوصفها إشارة إلى أول شعور وطني، كما يدعي كثير من العراقيين، هو أمر خاطئ. حيث كانت بعض العشائر عند انضمامها للثورة تبتغي الفوز بالغنائم أكثر من المطالبة بالحرية والاستقلال". (73) مؤكداً على أن "التراث البدوي كان عاملاً مهماً من عوامل ثورة العشرين، فالكثير من العشائر حاربت في ثورة العشرين بنفس الروح التي كانت تحارب بها الحكومة في العهد التركي". (74)

ومن جهته، يرى آل بازركان أن المساهمة العشائرية في الثورة كانت مدفوعة بمشكلات الأرض والضرائب وتحريض العلماء، غير أنه في ذات الوقت، أثنى على الوطنية الخالصة للبغداديين. (75)

وفي الوقت الذي يعارض فيه نظمي رواية الوردى التي تنفي الدوافع الوطنية للثورة، إلا أنه لا ينفي وجود دوافع عشائرية، لكنه يعتبرها ثانوية، من جهة، وعامل من عوامل قيام التحالف القومي-العشائري، من جهة أخرى. حيث أشار إلى أنه ولأجل "الدفاع عن مطالبهم الزراعية أساساً، بدأ شيوخ العشائر بالبحث عن حلفاء من ساسة المدن، ومن الجهة الأخرى، أدرك السيد طالب النقيب (زعيم القوميين) أن حماية وتعزيز سلطانه يتطلبان عقد تحالفات معينة مع شيوخ العشائر". (76)

وفي المقابل ينفي كل من البصير وآل فرعون والحسني وجود دوافع قبلية عشائرية للثورة، ومع ذلك يشير البصير إلى أن "البعض سعى إلى إحراز منافعهم الذاتية مستترين وراء برقع الوطنية الجميل". (77)

(73) الوردى، ص 345.

(74) المرجع نفسه، ص ص 14-15.

(75) آل بازركان، ص 14، و 144، 170.

(76) نظمي، ص 241.

(77) البصير، ص ص 53-56.

المحور الثاني

الأطراف الفاعلة في الثورة وفقاً لأدبيات المؤرخين العراقيين

على الرغم من سيطرة المضمون الوطني العام لتاريخ ثورة العشرين، إلا أن هناك تباين واضح بين المؤرخين العراقيين حول الأطراف الفاعلة في الثورة. فقد ركز البعض منهم على دور المرجعيات الدينية، وخاصة علماء الشيعة، في حين ركز فريق ثان على دور العشائر وخاصة عشائر الفرات الأوسط، وأخذ الفريق الثالث يركز على دور الناشطين العروبيين والضباط الشريفيين.

الفريق الأول: يركز على دور المرجعيات الدينية:

يركز هذا الفريق على دور المرجعيات الدينية، وخاصة علماء الشيعة، باعتبارها الفاعل الرئيسي والمحوري في الثورة، دون أن ينفي أدوار بقية الأطراف، كالعشائر والجمعيات والأحزاب، والتي يعدها أدوار مساعدة. ويأتي على رأس هذا الفريق كل من **الفياض والبصير والحسني**.

حيث يرى **الفياض** بأن "الكلمة الأولى والأخيرة قبيل قيام الثورة كانت لرجال الدين وخاصة للإمام الشيرازي،⁽⁷⁸⁾ وأن رجال الدين هم من تزعموا الثورة، وكان القطب الذي دارت حوله الثورة هو الإمام الشيرازي أولاً ثم شيخ الشريعة ثانياً ومهدي الخالص ثالثاً،⁽⁷⁹⁾ وأن "المؤتمر الذي عُقد في كربلاء في منتصف شعبان برئاسة الإمام الشيرازي وحضره جمع غفير من رجال الدين وزعماء القبائل، جرى فيه بحث موضوع القيام بالثورة ضد الإنجليز إذا لم يلبوا مطالب العراقيين في الاستقلال". وأعقب ذلك "عقد مؤتمر عشائري في 29 حزيران 1920، في مضيف عبد الكاظم الحاج سكر، وُضعت فيه خطط القيام بالثورة". وأكد **الفياض** على أن فتوى الشيرازي بالجهاد، وصلت إلى كثير من أنحاء العراق فأطلقت أول رصاصة في الرميثة في 30 حزيران 1920م.⁽⁸⁰⁾

ومع ذلك يرفض **الفياض** الفصل بين أدوار الثورة، وينتقد بعض المؤرخين الذين قاموا بذلك، واعتبروا كل دور قائم بذاته. إذ يؤكد على وجود أطراف أخرى أسهمت في الثورة بطريقة أو بأخرى.

(78) الفياض، ص132.

(79) المرجع نفسه، ص132.

(80) المرجع نفسه، ص ز.

فالعشائر في منطقة الفرات الأوسط قد اضطلعت بأهم الأعباء العسكرية من الثورة، كما أن أدوار تمهيدية سبقت الثورة المسلحة التي قامت في حزيران 1920م، كدور الجمعيات والأحزاب والمظاهرات التي قامت في بغداد وفي غيرها من المدن، وكذلك الحركات التي قامت في شمال العراق (ثورة الشيخ محمود في منطقة الأكراد، وحركات تلعفر والهجوم على الموصل نفسها بسعي جمعة العهد العراقي في سوريا)⁽⁸¹⁾ وثورة والنجف وغيرها، كلها ممهدات للثورة.⁽⁸²⁾

وفي ذات السياق، يرى **البصير** بأن العلماء كانوا الفاعل الرئيسي في الثورة، مع وجود أدوار مساعدة للأطراف الأخرى. حيث يؤكد على أن " الإمام مرزا محمد تقي الشيرازي كان له أعظم أثر في إشعال نار الثورة العراقية".⁽⁸³⁾ ويضيف: " كان للمرجع محمد تقي الشيرازي ونجله الميرزا محمد رضا إسهاما واضحا في الاجتماعات والموالد الدينية، وكان اجتماع النصف من شعبان 1920 في كربلاء برئاسة الشيرازي، قد انتهى بالاتفاق على القيام بالثورة.⁽⁸⁴⁾ كما كان الشيرازي يستخدم نفوذه الديني الواسع في تأييد المسألة العراقية.⁽⁸⁵⁾ كما "رضي الإمام الشيرازي أن يشد أزر الحركة القومية ليتقوى بها مركز الإسلام".⁽⁸⁶⁾

ومع ذلك يرى **البصير** بأن هناك عديد من الأطراف أسهمت في الثورة، كحزب العهد العراقي الذي حرر دير الزور وهجومه على تلعفر، وحزب حرس الاستقلال الذي أخذ ينشر الدعوة في العراق لإنشاء حكومة عربية مستقلة فيه، وشيوخ ورؤساء قبائل الفرات الأوسط الذين لعبوا دوراً هاماً في قيام الثورة.⁽⁸⁷⁾

ومن جهته، يؤكد **الحسني** على الدور المحوري للمرجعيات الدينية وعلماء الشيعة؛ حيث يشير إلى أن أكثرية العلماء كانت من دعاة الحرب والدفاع عن بيضة الإسلام، وكان لأرائهم وفتاواهم النفوذ الواسع على جمهور الناس في العراق.⁽⁸⁸⁾ وكان لفتوى الإمام الشيرازي بجواز التوسل بالقوة الدفاعية دور في اشعال الثورة.⁽⁸⁹⁾ وأشار **الحسني** إلى مؤتمر كربلاء في منتصف شعبان برئاسة الإمام

(81) المرجع نفسه، ص ص 87-88.

(82) المرجع نفسه، ص 111

(83) البصير، ص 52.

(84) المرجع نفسه، ص 191.

(85) المرجع نفسه، ص 68.

(86) المرجع نفسه، ص 53.

(87) البصير، ص 52.

(88) الحسني، ص ص 152-153.

(89) المرجع نفسه، ص 186.

الشيرازي والذي جرى فيه بحث موضوع القيام بالثورة ومؤتمر 29 حزيران 1920، في مضيف عبد الكاظم الحاج سكر، الذي وُضعت فيه خطط القيام بالثورة، والذي أطلق عليه مؤتمر الثورة". (90)

ويرى هذا الفريق بأن دور الجمعيات والأحزاب كان محدوداً، كما أن المشاركة المباشرة للضباط العراقيين السابقين في الجيش العثماني في الثورة كانت محدودة، وفي بعض المناطق فقط. (91)

الفريق الثاني: يركز على دور العشائر:

يرى هذا الفريق بأن الفاعل الرئيس في الثورة هم أبناء العشائر وزعمائها، وأن الثورة قد قامت على أكتافهم، ويعترف بوجود دور ما للمرجعيات الدينية ولكنه دور مساعد. وبالنسبة للأطراف الأخرى، كالناشطين العربيين والضباط الشريفيين، فيشير البعض، في إطار هذا الفريق، إلى دورها المحدود في الثورة، في حين ينفي البعض الآخر أي دور لها. ويأتي على رأس هذا الفريق كل من آل فرعون وأحمد والوردي.

حيث اعتبر آل فرعون أن الفاعلين الرئيسيين في الثورة هم "عشائر الفرات الأوسط وعلى رأسهم الزعماء والشيوخ، وليس جمعية العهد وحرس الاستقلال، كما يزعم بعض المؤرخين. (92) ولم يكن لأهل بغداد أي دور في الثورة، بل كان بعض رجالها يشجبون الثورة. أما العوام فقد أيدوا الثورة بقدر المستطاع بعد توطيد أسسها من قبل الفراتيين، وذلك من خلال المظاهرات. (93) ويرى آل فرعون بأن جمعيتنا العهد وحرس الاستقلال لم يكن لهما أي صلة بالثورة. بل إن تناحرهما كما يشير آل فرعون، أثر في تفريق صفوف أهل بغداد، ولم يكن الفراتيون يعرفون شيئاً عن هذه الجمعيات. (94) كما ينتقد آل فرعون الكتاب الذين جعلوا من حركة بغداد أصلاً وحركة الفرات الأوسط فرعاً، أو ذهبوا أبعد من هذا وجعلوا الثورة بغدادية، وكل ما حدث في الفرات حركات عصيان ومظاهرات. (95)

(90) المرجع نفسه، ص 169-170.

(91) الفياض، ص 145، البصير، ص 201، الحسني، ص 125-126، وص 142.

(92) آل فرعون، ص 24، ص 185.

(93) المرجع نفسه، ص 118.

(94) المرجع نفسه، ص 24، و 120.

(95) المرجع نفسه، ص 139.

ومع ذلك يؤكد آل فرعون على اشتراك علماء الدين في الثورة، من خلال الدور الروحي.⁽⁹⁶⁾ حيث أكد على أن فتوى الشيرازي التي قضت بأنه: ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب أو يختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين، كانت الرصاصة الروحية الأولى التي انطلقت إيداناً بالجهاد، ودعوة إلى الثورة.⁽⁹⁷⁾

أما الوردية، فيرى بأن العشائر كان لها دور رئيسي في الثورة، ولكنه ليس الدور الوحيد. فقد اعتبر الثورة في الفرات الأوسط بمثابة العمود الفقري لثورة العشرين كلها، وتحملت هذه المنطقة العبء الأكبر من التضحيات، أما المناطق الأخرى فلم تكن ثورتها سوى صدى لثورة الفرات الأوسط، وقد تمكن الإنجليز من القضاء عليها بسهولة وخلال وقت قصير.⁽⁹⁸⁾ ويؤكد الوردية على أن رجال الحركة الوطنية في بغداد وكربلاء لم يكونوا في البداية يفكرون في القيام بثورة مسلحة على الإنجليز، وأن فكرة الثورة المسلحة لم تظهر إلا لدى بعض سادة العشائر ورؤسائها في الفرات الأوسط، فهم أول من نادى بها ثم انتشرت دعوتهم في المناطق الأخرى، مما أدى إلى اندلاع شرارة الثورة في الرميثة.⁽⁹⁹⁾ كما ينسب الوردية لفئة الأفندية قيادة الحراك الشعبي قبيل الثورة، من خلال مقدرتهم على إثارة الناس وإشاعة التذمر فيهم ضد الإنجليز.⁽¹⁰⁰⁾

ويقول الوردية من دور المرجعيات الدينية في الثورة، حين يؤكد على أن الشيرازي كان لا يميل إلى الثورة بل إلى الأساليب السلمية للمطالبة بالحقوق المشروعة،⁽¹⁰¹⁾ وأن الفتوى المشهورة عنه، والتي أجاز بها الثورة، غير مؤرخة، واختلف المؤرخون في تحديد تاريخها، ويرجح الوردية أنها صدرت بعدما اشتدت المعارك في الرميثة وفشلت محاولته للمفاوضة مع ويلسون.⁽¹⁰²⁾

وعلى الرغم من أن الفياض يرى بأن منطقة الفرات الأوسط قد اضطلعت بأهم الأعباء العسكرية من الثورة، إلا أنه ينتقد رواية آل فرعون بأن الثورة قد قامت على أكتاف أبناء العشائر في الفرات الأوسط، مؤكداً على أن الثورة ظاهرة اجتماعية معقدة تمتد جذورها إلى ما وراء صيف 1920م، وأن أدواراً تمهيدية سبقت الثورة المسلحة، كدور الجمعيات والأحزاب والمظاهرات التي قامت في بغداد

(96) المرجع نفسه، ص 496.

(97) المرجع نفسه، ص 81.

(98) علي الوردية، ص 341.

(99) المرجع نفسه، ص 113.

(100) المرجع نفسه، ص 35 و 40. ويقصد بالأفندية الأشخاص الذين كانوا موظفين أو ضباطاً في العهد التركي، وفقدوا في الغالب مناصبهم في عهد

الاحتلال البريطاني. ينظر في: المرجع نفسه، ص 34.

(101) المرجع نفسه، ص 127.

(102) المرجع نفسه، ص 235.

والحركات التي قامت في شمال العراق وثورة والنجف وغيرها، كلها ممهديات للثورة.⁽¹⁰³⁾ وهذه الأدوار التمهيدية لم يكن لأبناء العشائر فيها جهد يذكر اللهم إلا جهود قليلة نتجت عن انضمام اشخاص معدودين للأحزاب والجمعيات.⁽¹⁰⁴⁾

الفريق الثالث: يؤكد على محورية دور الناشطين العربيين والضباط الشريفيين في ثورة العشرين:

يركز هذا الفريق على دور الناشطين العربيين والضباط الشريفيين في ثورة العشرين، وأن أدوار العشائر والمرجعيات الدينية كانت أدوار مكملة. ويأتي على رأس هذا الفريق **نظمي**، إذ يرى بأن الحركة الاستقلالية في العراق التي اكتسبت زخماً سياسياً عالياً في 1920، قد قادها وألهمها فريق من القوميين العرب العراقيين الذين كانوا يقطنون المدن الكبرى أو في الخارج. ومع ذلك فلولا المبادرة الفعلية لعشائر الفرات الأوسط في إشعال فتيل الثورة، لافترقت الحركة الاستقلالية إلى القوة المؤثرة. وهذا يدحض فكرة أن الثورة كانت تمرداً عشوائياً من قبل العشائر. ومن ثم، يرى بأن التحالف القومي-الديني-العشائري مثل العمود الفقري للثورة.⁽¹⁰⁵⁾

وفي هذا الإطار يؤكد **نظمي** على محورية الدور الذي لعبته حركة الحرس، التي برزت كمركز للحركة القومية وبالتالي كقوة محركة لثورة 1920. ويضيف بأن وصول الشيرازي ورضا إلى كربلاء وإن كان قد أمد الحركة القومية بسند قوي، غير أن نفوذ الشيرازي أضعف الطابع القومي للحركة وأكسبها سمات دينية. واتفق القوميون والإسلاميون على برنامج مشترك يمكن تلخيصه في الاستقلال التام للعراق في ظل ملك دستوري من أنجال حسين. أما الضباط العراقيون من جمعية العهد، فيرى **نظمي** أن تأثيرهم كان ضئيلاً في ثورة الفرات الأوسط.⁽¹⁰⁶⁾

ومن جهة أخرى، يقلل **نظمي** من دور المرجعيات الدينية، إذ يشير إلى أن دور المرجعيات الدينية هو دور مبالغ فيه، مؤكداً على أن الثورة بدأت في الرميثة قبل صدور فتوى الشيرازي، كما أن تلك الفتوى بخصوص القوة الدفاعية لم يكن لها كما يظهر تأثير قوي على الكثير من زعماء العشائر. وقد توفي الشيرازي في 14 اغسطس ونفي ولده رضا وبحر العلوم قبل ذلك، إلا أن الحركة استمرت

(103) الفياض، ص ص 87-88.

(104) المرجع نفسه، ص ص 111-112.

(105) نظمي، ص 235، وص 355.

(106) المرجع نفسه، ص 337، و373، و398.

دون انقطاع. وجاء بعد الشيرازي، الأصفهاني الذي شجب العنف علناً ولم يؤيد فتوى الشيرازي، بالدعوة إلى الجهاد. (107)

أما **الفياض**، وإن كان يرى بأن المرجعيات الدينية هي الفاعل الرئيس في الثورة، إلا أنه يشير إلى وجود أدوار تمهيدية سبقت الثورة، وأن "الدور الأول للثورة كان محوره أعضاء حزب العهد في الشام والعراق وحزب الحرس وعلى رأس منتسبيه الصدر والسويدي وأبو التمن وغيرهم في بغداد وجهود النجف ونواديها الأدبية. (108) ويؤيد فراتي هذا الرأي. (109) كما يتفق كل من **الفياض ونظمي** على أن حزب الحرس أقام صلات وروابط تنظيمية مع المجتهدين ورؤساء القبائل في الفرات الأوسط. (110) ومن جهته، يشير **سليمان فيضي** إلى أنه "وبعد إعلان الثورة انضم إليها عدد كبير من الشخصيات البارزة، ومن الضباط العراقيين الذين خدموا سابقاً في الجيش العثماني، كما سارع الضباط العراقيين في سوريا بالتوجه إلى العراق للمشاركة فيها". (111)

وفي المقابل، ينفي **آل فرعون** أي تأثير لقيام الحكومة الفيصلية في سوريا على الثورة العراقية، وأنه لم يكن للضباط العراقيين في سوريا أي يد في الثورة. (112)

(107) المرجع نفسه، ص 394.

(108) الفياض، ص 111-112

(109) فراتي، ص 15-16.

(110) نظمي، ص 353، الفياض، ص 70، 112.

(111) فيضي، سليمان، في غمرة النضال: مذكرات سليمان فيضي (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، 1952)، ص 259،

(112) آل فرعون، ص 547.

المحور الثالث

نتائج الثورة وارتداداتها الداخلية في أدبيات المؤرخين العراقيين

لاشك في أن ثورة العشرين، رغم عجزها عن تحقيق أهدافها بشكل كامل، إلا أنها شكلت نقطة تحول أساسية في سياسة بريطانيا في الشرق الأوسط، وكانت السبب في تغيير سياستها إزاء العراق وفي قيام الدولة العراقية (113)

وعلى الرغم من وجود شبه إجماع بين المؤرخين العراقيين بشأن نتائج ثورة العشرين على صعيد تأسيس الدولة العراقية الحديثة، إلا أنهم اختلفوا بشأن نتائج الثورة على صعيد الحركة السياسية والأطراف السياسية العراقية.

أولاً: على صعيد تأسيس الدولة العراقية والحكم الوطني:

يكاد يُجمع المؤرخون العراقيون على أن تأسيس الدولة العراقية كان إحدى نتائج ثورة العشرين، حيث يتفق كل من **نظمي والبصير والفياض والحسني والوردي وآل فرعون**، على أن ثورة العشرين تمكنت من إجبار بريطانيا على تأسيس الدولة العراقية الموحدة، وإقامة حكومة وطنية، وإقامة عراق موحد ومستقل، وإعلان فيصل الأول ملكاً على العراق، غير أن استقلال الدولة العراقية لم يكن استقلالاً تاماً، حيث تمكن البريطانيون وأصدقاؤهم من فرض نظام شبه استعماري على العراق (114) ومع ذلك، فإن تكوين الدولة العراقية الحديثة، كان خطوة كبيرة إلى الأمام، كما يشير **نظمي**. فقد تم تنصيب ملك عربي هاشمي، ولكن ذلك جرى بنصف انتخاب شعبي، وبنصف تعيين بريطاني. أما عن الدستور والمجلس التشريعي فمن الناحية الشكلية تحقق ذلك، ولكن من الناحية الموضوعية فإن ذلك لم يكن -شكلاً ومضموناً- منسجماً تماماً مع الرغبة الحقيقية لوطني وقوميين وثوار العراق. أما عن هدف الوحدة العربية فلم يتحقق البتة" (115)

(113) كاظم حبيب، "ثورة العشرين (1920) في العراق"، الحوار المتمدن، العدد 3047، 2010، على الرابط:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=220708&r=0>

(114) نظمي، ص 422، البصير، ص ص 289-300، الفياض، ص ص 224-227، الحسني، ص ص 458، و478، الوردي، ج 6، ص ص 25-26، آل فرعون، ص ص 520-527.

(115) نظمي، ص 422.

ثانياً: على صعيد الحركة السياسية في العراق:

يتفق كثير من المؤرخين العراقيين على أن ثورة العشرين أفضت إلى تنمية الوعي السياسي لدى الجماهير العراقية، وإلى قيام الأحزاب السياسية، وتطور الحياة السياسية في العراق. حيث يشير الوردى إلى أن ثورة العشرين كانت من أهم الأحداث في تاريخ العراق الحديث، من حيث أثرها في تنمية الوعي السياسي، فقد كانت بمثابة مدرسة شعبية تعلم العامة فيها مبادئ الحرية والاستقلال والقومية والوطنية.⁽¹¹⁶⁾

ورغم عدم إشارتهم إلى نتائج الثورة على صعيد الحركة السياسية، أكد كل من الفياض ونظمي والبصير على أن الثورة أفضت إلى ولادة الدولة العراقية الجديدة، التي ورغم ما اكتنف ولادتها من عقبات أخذت تسعى لتحتل مكانتها بين الأمم.⁽¹¹⁷⁾ وفي المقابل، يشير الحسني إلى أن الثورة لم تحقق أهدافها على صعيد الحياة السياسية، وأن الحكومة البريطانية والمتعاونين معها من العراقيين قد حرفوا الثورة عن أهدافها.⁽¹¹⁸⁾

وتشير العديد من الدراسات الحديثة إلى أن ثورة العشرين أفضت إلى تأسيس الأحزاب السياسية، مثل حزب النهضة والحزب الوطني العراقي والحزب الحر وحزب الأمة، كما أفضت إلى المباشرة بتأسيس وإجراء أول عملية سياسية، شملت انتخابات المجلس التأسيسي، وإصدار الدستور، وقانون الانتخاب، وبدء النشاط الوطني، إثر عودة المنفيين الوطنيين.⁽¹¹⁹⁾

(116) الوردى، ج 6، ص ص 310-314.

(117) الفياض، ص 227، نظمى، ص 422، البصير، ص 288.

(118) الحسني، ص 478.

(119) الحسني، هيثم الحلبي، مقدمات الثورة العراقية الكبرى ومتباينتها الفكرية والمجتمعية وأثرها في تشكيل العملية السياسية، 12 يوليو 2012، على الرابط:

<http://www.ssrcaw.org/ar/print.art.asp?aid=315391&ac=1>

ينظر أيضاً في: القطان، عدنان، التطورات السياسية الناشئة عن ثورة العشرين في العراق (المجلس التأسيسي أنموذجاً)، (اسطنبول: مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية، 2019)، الصفحات 17، 25، 28.

ثالثاً: نتائج الثورة على الأطراف السياسية العراقية:

يشير معظم المؤرخين العراقيين إلى أن ثمار الثورة جنتها أطراف سياسية لم يكن لها دور كبير في الثورة، بل كان بعضهم من المناوئين لها، فيما لم يحصل الثوار الحقيقيون على أية مكاسب بل تعرضوا للتنكيل من قبل السلطات البريطانية والأطراف العراقية الموالية لبريطانيا.

حيث يشير **نظمي** إلى أن "الفلاحين حصلوا على الحصة الأقل من ثمار حركتهم، فالضباط والموظفون العراقيون هم الذين تسلموا مقاليد البلاد بعد 1920م، وحصل بعض الشيوخ غير الممتلكين على الأرض إلا أن السواد الأعظم من الفلاحين والسراكيل بقوا غير ممتلكين ومحرومين من الامتيازات.⁽¹²⁰⁾ ويتفق **الحسني** مع هذه الرواية.⁽¹²¹⁾ ومن جهته، يؤكد **آل فرعون** بأن "الذين استولوا على ثمار الثورة قوم لا يعرف بعضهم عن الثورة شيئاً، ولا كانوا في الثورة شيئاً، وحرّم منها الآخرون الذين اصطلوا بنيران الثورة.⁽¹²²⁾ ويضيف **آل فرعون** بأن "الذين كانوا عيون الإنجليز وجواسيسهم والساخطين على الثورة والثوار هم الذين يحكمون وينعمون بنتائج الثورة، ولم تقف السلطة الإنجليزية عند هذا الحد، بل انتزعت الأملاك من أصحابها الشرعيين الذين قاموا بالثورة وسلمتها إلى الخائنين". فتذمر الأحرار من هذا الوضع أكثر مما تذمروا في سنة 1920م، كما أن السلطات البريطانية أصدرت، بعد انتهاء ثورة العشرين، قائمة غرامات توجب على عشائر الفرات الأوسط التي شاركت في الثورة دفعها. كما صادرت أراضي الكثير من زعماء العشائر الذين وقفوا مع الثورة.⁽¹²³⁾ كما تم نفي الزعماء والأحرار إلى خارج العراق وعلى رأسهم الشيخ مهدي الخالصي، وقصفت الطائرات البريطانية مضارب العشائر التي ساندت الثورة. وانقلب الأمر رأساً على عقب، وعاد أولئك الذين بنوا أركان الدولة على جماجم شهدائهم، مطاردين، ليس فقط من الإنجليز بل من أولئك الذين كانوا يتظاهرون بأنهم مع الثورة.⁽¹²⁴⁾

(120) نظمي، ص 287.

(121) الحسني، ص 478.

(122) آل فرعون، ص 24.

(123) المرجع نفسه، ص 422-423، ص 592.

(124) المرجع نفسه، ص 593.

ومن جهته، يشير **الوردي** إلى أن الافندية (رجال الدولة) هم الذين استفادوا من الثورة، ففريق منهم تولى زمام الحكم، بينما تولى الفريق الآخر زمام المعارضة، وخاصة بعد نفي المجتهدين (رجال الدين) عام 1923. (125)

وعلى الرغم من أن **الفياض والبصير**، لم يشيرا صراحة إلى الأطراف المستفيدة من الثورة، إلا أن المحتوى العام لروايتهما يشير إلى أن الأطراف المستفيدة من نتائج الثورة هي الأطراف التي كانت موالية لبريطانيا، بينما حُرم الثوار من ثمار الثورة.

المحور الرابع

تقييم أدبيات المؤرخين العراقيين بشأن الثورة في ضوء المصادر المحايدة

لعل من البداهة القول بأن تقييم الرواية التاريخية ليس بالأمر الهين، إذ تتطلب معرفة دقيقة بالسياق المجتمعي الذي عاش فيه المؤرخ، والسمات الشخصية للمؤرخ ونسقه العقيدي، فضلاً عن توجهاته الفكرية والسياسية. وهي أمور تحتاج إلى كثير من الوقت والجهد لدراسة حياة كل مؤرخ وظروفه وشخصيته، بالاعتماد على الوقائع الميدانية من بينها الحقيقية، وليس إعادة إنتاج للآراء والتدوينات التي كُتبت من قبل شخصيات من خارج بيئة الحدث، حتى وإن كانت عاصرت الوقائع زمنياً أو اقتربت من بينها، حيث صارت هذه الكتابات المصادر المعتمدة أو الوحيدة للحدث في عقود لاحقة من زمن الثورة، سواء كانت عراقية أو أجنبية.⁽¹²⁶⁾

ولذلك، ستحاول الدراسة في هذا المحور، إجراء تقييم عام لأدبيات المؤرخين العراقيين بشأن ثورة العشرين، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: فيما يتعلق بعوامل وأسباب الثورة، نجد أن معظم المؤرخين العراقيين يعزون الثورة إلى أسباب وعوامل داخلية بالأساس، أما الأسباب والعوامل الخارجية للثورة، فهناك خلاف بين المؤرخين العراقيين حول طبيعتها ودرجة تأثيرها في قيام الثورة.

والواقع أن ثورة العشرين، وإن كان لها أسبابها الداخلية المتمثلة في سوء الإدارة البريطانية وتعاملها الفظ مع العراقيين، وتدهور الأوضاع الاقتصادية... إلخ، إلا أنها في ذات الوقت لم تكن بمعزل عن الأحداث الخارجية في المنطقة، لاسيما وأنها جاءت في سياق إقليمي ودولي مفعم بالتحويلات السياسية.

ثانياً: فيما يتعلق بدوافع الثورة؛ يؤكد معظم المؤرخين العراقيين على أن الدوافع الوطنية والقومية شكّلت المحرك الرئيس لثورة العشرين، في حين مثّلت الدوافع الدينية والقبلية، دوافع ثانوية مساعدة (نظمي وقراتي والفياض والبصير والحسني وآل فرعون). وإذا كان معظم المؤرخين العراقيين ينفون بأن يكون العامل الديني أو الطائفي هو الدافع لقيام الثورة، إلا أن البعض منهم يؤكد على وجود دور ما للعامل الديني كعامل مساعد في انتشار الثورة والتأثير على زعماء العشائر (الفياض والوردي والبصير والحسني وآل فرعون). وفي المقابل يؤكد فريق من المؤرخين

(126) البيضاني، عبد الستار، ثورة العشرين... تفاصيل جديدة يرويها شاهد عيان، 30-06-2019، على الرابط:

<https://almadasupplements.com/news.php?action=view&id=21155#sthash.sEajIHK4.dpbs>

العراقيين على أن الدوافع العشائرية والقبلية شكّلت المحرك الرئيس للثورة، نافياً أن تكون الثورة ذات دوافع وطنية (الوردي وآل بازركان)، في حين ينفي كل من البصير وآل فرعون والحسني، وجود دوافع قبلية عشائرية للثورة.

ويعكس هذا التباين في الرواية التاريخية لدوافع ثورة العشرين، الاختلافات الفكرية والمذهبية للمؤرخين العراقيين، والتحييزات الذاتية في تناول الحدث التاريخي، لدى كثير من أولئك المؤرخين، باستثناء البعض منهم الذي حاول الابتعاد عن القراءة الأحادية للثورة، كما فعل **نظمي**.

ولا شك في أن ثورة العشرين، كأي حدث تاريخي، كانت نتيجة لخليط من الدوافع الوطنية والقومية والدينية والقبلية بل والذاتية. وهو أمر طبيعي لاسيما في مجتمع، كالعراق، يعاني من انقسامات قبلية ودينية وإثنية وطائفية.

ثالثاً: تباينت أدبيات المؤرخين العراقيين بشأن الفاعلين الرئيسيين في الثورة، حيث اعتبر البعض (الفياض) أن المجتهدين من رجال الدين كانوا هم الفاعلين الرئيسيين في الثورة، في حين ركز البعض الآخر (آل فرعون) على دور العشائر نافياً أية أدوار للفاعلين الآخرين في الثورة، أما الفريق الثالث (نظمي) فيعزو الثورة للأحزاب والجمعيات القومية.

والواقع أن هناك نوع من تكامل الأدوار بين الفاعلين في الثورة، فقد لعبت الجمعيات والأحزاب العراقية، وخاصة حزب الحرس، دوراً هاماً في الثورة، لاسيما في مرحلة التمهيد للثورة، في حين أسهم رجال الدين، بدور كبير، في تحريك وتوجيه قطاعات واسعة من الشعب العراقي ضد الإنجليز، وفي ذات الوقت تحملت العشائر الجزء الأكبر في العمليات العسكرية. ومن ثم، فإن ثورة العشرين كانت ولادة طبيعية لمخاض شعبي، وحمية وطنية، ورغبة حقيقية في الاستقلال. (127) فإذا كانت الأوساط الدينية الوطنية، وشيوخ العشائر، وبعض ملاكي الأراضي الزراعية، وبعض الشخصيات الاجتماعية والمتنفذة؛ أو الأفندية من أبناء الفئات الميسورة والبرجوازية الصغيرة، قد لعبت دوراً متميزاً وقيادياً فيها، كل بحسب طبيعة منطقتها التي دارت فيها رحى الثورة؛ فإن جموع الفلاحين، وأبناء العشائر، وكادحي المدن المشاركة في الثورة، شكّلت جيشها الأساس، ووقودها المحرك. (128)

وإذا كان الريف والمدن المجاورة له، خاضعة لتأثير وسلطة شيوخ الدين البارزين، وشيوخ العشائر من مالكي الأراضي الزراعية، فإن مدينة بغداد وكذلك البصرة والموصل، كانت تحت تأثير الأحزاب السياسية، وأبناء العائلات الميسورة المشاركة في الثورة، وتأثير بعض المثقفين والتجار

(127) نصار، عبد العظيم عباس، ثورة العشرين في العراق: عوامل الانطلاق ومظاهر السخط الجماهيري، على الرابط: <https://www.iasj.net>

(128) حبيب، كاظم، ثورة العشرين (1920) في العراق، الحوار المتمدن، العدد 3047، 28 يونيو 2010، على الرابط:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=220708&r=0>

الوطنيين البارزين والوجوه الاجتماعية. ومن الخطأ هنا تقدير دور وتأثير شيوخ الدين تقديراً يقل من شأنه على سكان المدن، الذين لم يتخلوا عن تقاليدهم وعلاقاتهم القديمة بالريف العراقي؛ لأنها كانت واسعة وعميقة يصعب التخلي عنها. وكان هناك تباين واسع في رؤية المشكلات القائمة، وأساليب المجابهة، بين أعلام الثورة. حيث كان الأسلوب العشائري- الفلاحي- الفردي هو الغالب المهيمن على تصرفات الثوار، وعلى مراكز اتخاذ القرارات والخطط والتنفيذ. (129)

أما ما قيل على لسان معظم المؤرخين الذين عزوا اندلاع الثورة إلى اعتقال زعيم عشيرة الطوالم شعلان أبو الجون في الرمثية، وإلى قيام الشيخ ضاري المحمود زعيم عشائر زوبع بقتل الجنرال لجمن في خان النقطة غرب منطقة أبي غريب، وإلى فتاوى علماء الدين من الشيعة والسنة بالجهاد ضد المحتل البريطاني، فإن ذلك يمثل جزءاً من الحقيقة، فهذه الأحداث لم تكن سوى الشرارة التي أشعلت نار الثورة. فقد بدأت بواكير الثورة بانتفاضة النجف عام 1918م، التي قُتل فيها الحاكم العسكري البريطاني الكابتن مارشال، وما أعقبها من مواجهات قادها الضباط العراقيون من سوريا ضد قوات الاحتلال البريطاني بالقرب من الحدود العراقية- السورية، وحرروا منطقة دير الزور بالقوة، وشنوا العديد من الهجمات ضد القطعات الإنجليزية في مناطق القائم وهيت وعانة، في حين قاد المدنيون انتفاضة تلعفر، وسعوا إلى تحرير الموصل بالقوة، ناهيك عن قيام الزعماء الوطنيين بعقد الاجتماعات في المساجد والدواوين والبيوتات في العديد من المدن العراقية الرئيسية، وتواصل الاتصالات بينهم وبين رؤساء العشائر الوطنيين للتحضير للثورة، ومنها تعزيز الوحدة الوطنية بين المسلمين أنفسهم وبين المسلمين والمسيحيين وسائر الأديان الأخرى. (130)

رابعاً: فيما يتعلق بنتائج الثورة، هناك شبه إجماع بين المؤرخين العراقيين على أن ثورة العشرين أفضت إلى تأسيس الدولة العراقية الحديثة، غير أنهم اختلفوا بشأن نتائج الثورة على صعيد الحركة السياسية، والأطراف السياسية المستفيدة من الثورة.

والواقع أن ثورة العشرين وإن لم تحقق كل أهدافها، إلا أنها أفضت إلى تأسيس الدولة العراقية الحديثة، فقد تم تشكيل الحكومة الوطنية والمجلس التأسيسي والوزارات العراقية والمؤسسات الحكومية، وكتابة الدستور، وهو ما يعني أن الثورة نجحت في بُعدها السياسي عندما رسمت ملامح العراق الحديث. (131) أما ما قيل بشأن تسنم الأطراف الموالية للإنجليز للحكم، وجني ثمار الثورة على

(129) المرجع نفسه.

(130) المرجع نفسه.

(131) نوري، عبد الجبار، ثورة العشرين: صفحات مضيئة في الذاكرة العراقية، بتاريخ 3 تموز 2015، الخزاعي، أحمد عواد، ثورة العشرين .. إضاءة مُشرقة في تاريخ العراق الحديث، على الرابط:

حساب الثوار الحقيقيين فهو أمر يتعلق بمصالح أطراف سياسية استبعدت عن السلطة، ولا يتعلق بالمصالح الوطنية للعراق.

هذه التباينات في النظر إلى الثورة امتدت إلى عراق ما بعد 2003م، وحفزت شهية البعض للمقارنة بين الاحتلالين البريطاني والأمريكي، وتقييم نتائج مقاومة الأول (ثورة العشرين) وعكسها على مقاومة الثاني بجميع عناوينها، فمنهم من عد ثورة العشرين بداية الوعي السياسي في العراق الحديث، وبناء الدولة، ومنهم من عدها انتكاسة للمشروع الحداثي الذي جاء به الاحتلال البريطاني على أنقاض الإمبراطورية العثمانية، والبعض يذهب بعيداً فيرى في ما يعانيه العراق الآن هو بعض من نتائج تلك (الانتكاسة) التي أدت إلى تأسيس دولة قبل توفر ونضوج عوامل ومقومات تأسيسها.⁽¹³²⁾

<https://www.raialyoum.com/index.php/%D8%A7%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B9%D9%88%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B2%D8%A7%D8%B9%D9%8A-%D8%AB%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D9%86-%D8%A5%D8%B6%D8%A7%D8%A1%D8%A9>

(132) البيضاني، مرجع سابق.

الخاتمة

سعت الدراسة إلى تحليل أدبيات المؤرخين العراقيين بشأن ثورة العشرين وتقييمها، وتوصلت إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائج:

1- باستثناء بعض المؤرخين وعلى رأسهم علي الوردي، هناك شبه إجماع بين المؤرخين العراقيين على الطابع الوطني لثورة العشرين.

2- هناك شبه إجماع بين المؤرخين العراقيين على أن الثورة كانت نتيجة لعوامل وأسباب داخلية بالأساس، أما العوامل الخارجية فلم يكن لها أي دور في رأي بعض المؤرخين، في حين يُشير البعض الآخر إلى أنها أسهمت بطريقة أو بأخرى في قيام الثورة.

3- يؤكد معظم المؤرخين العراقيين على أن الدوافع الوطنية والقومية شكّلت المحرك الرئيس لثورة العشرين، في حين مثّلت الدوافع الدينية والقبلية، دوافع ثانوية مساعدة. وإذا كان معظم المؤرخين العراقيين ينفون بأن يكون العامل الديني أو الطائفي هو الدافع لقيام الثورة، إلا أن البعض منهم يؤكد على وجود دور ما للعامل الديني كعامل مساعد في انتشار الثورة والتأثير على زعماء العشائر. وفي المقابل يؤكد فريق آخر من المؤرخين العراقيين على أن الدوافع العشائرية والقبلية شكّلت المحرك الرئيس للثورة، نافياً أن تكون الثورة ذات دوافع وطنية، في حين ينفي البعض وجود دوافع قبلية-عشائرية للثورة.

وهذا التباين يعكس، في الواقع، حقيقة الصراع على التاريخ والمدفوع بالطريقة التي تطورت بها انقسامات المجتمع العراقي، وحدة الصراع بين اللاعبين الاجتماعيين-السياسيين.

4- فيما يتعلق بنتائج الثورة، هناك شبه إجماع بين المؤرخين العراقيين بأن ثورة العشرين أفضت إلى تأسيس الدولة العراقية الحديثة، غير أنهم اختلفوا بشأن نتائج الثورة على صعيد الحركة السياسية والأطراف السياسية المستفيدة من الثورة. حيث يُشير معظم المؤرخين العراقيين إلى أن ثمار الثورة جنتها أطراف سياسية لم يكن لها دور كبير في الثورة، بل كان بعضهم من المناوئين للثورة، فيما لم يحصل الثوار الحقيقيون على أية مكاسب بل تعرضوا للتكيل من قبل السلطات البريطانية والأطراف العراقية الموالية لبريطانيا.

ثانياً: التوصيات:

1- توصي الدراسة بضرورة إجراء دراسات علمية معمقة للسياق العام الذي عاش فيه كبار المؤرخين العراقيين الذين كتبوا عن ثورة العشرين، وتحليل سماتهم الشخصية وتوجهاتهم الفكرية والسياسية، وذلك بغية التعرف على العوامل التي أثرت في رواياتهم لثورة العشرين، ومن ثم الكشف عن مزيد من الحقائق الغائبة عن تلك الثورة بسبب التباين الكبير في الروايات التاريخية بشأنها.

2- يمثل التباين الواضح في الروايات التاريخية بشأن ثورة العشرين مؤشراً هاماً على أن التاريخ العربي-الإسلامي يعاني من غياب كثير من الحقائق، ومن ثم فالحاجة ماسة إلى إعادة قراءته قراءة نقدية واعية، خاصة بالنسبة للأحداث الكبرى فيه، التي لا تزال تداعياتها مستمرة حتى الوقت الحاضر. لذلك، تقترح الدراسة إنشاء مركز بحثي متخصص بإعادة قراءة الأحداث والوقائع الكبرى في تاريخنا العربي-الإسلامي، ومقارنة تلك الأحداث بالواقع العربي-الإسلامي الراهن.

قائمة المراجع

أولاً: الكتب:

- 1- أحمد، كمال مظهر، صفحات من تاريخ العراق المعاصر (بغداد: مكتبة البديسي، 1987).
- 2- آل بازركان، علي، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية (بغداد: ب.د.ن، 1954).
- 3- آل فرعون، فريق المزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية، ط1(بغداد: مطبعة النجاح، 1952).
- 4- البصير، محمد المهدي، تاريخ القضية العراقية، ج1 (بغداد: مطبعة الفلاح، 1923).
- 5- حسن، محمد سلمان، طلائع الثورة العراقية: العامل الاقتصادي في الثورة العراقية الأولى (بغداد: مطابع جريدة الجمهورية، 1985).
- 6- الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى (قم: مؤسسة المحبين، ب.ت.ن).
- 7- فراتي، على هامش الثورة العراقية الكبرى (بغداد: ب.د.ن، 1935).
- 8- الفياض، عبد الله، الثورة العراقية لسنة 1920 (بيروت: الجامعة الأمريكية، 1954).
- 9- فيضي، سليمان، في غمرة النضال: مذكرات سليمان فيضي (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، 1952).
- 10- القطان، عدنان، التطورات السياسية الناشئة عن ثورة العشرين في العراق(المجلس التأسيسي أنموذجاً)، (اسطنبول: مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية، 2019).
- 11- نظمي، وميض جمال عمر، الجذور الفكرية والسياسية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، سلسلة أطروحات الدكتوراه، رقم 5، ط3، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1986).
- 12- الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، حول ثورة العشرين، الجزء الخامس (بغداد: ب.د.ن، 1977).

ثانياً: الدراسات:

- 1- البيضاني، عبد الستار، ثورة العشرين... تفاصيل جديدة يرويها شاهد عيان، 30-06-2019.
- 2- الحسيني، هيثم الحلبي، مقدمات الثورة العراقية الكبرى ومتباينتها الفكرية والمجتمعية وأثرها في تشكيل العملية السياسية، 12 يوليو 2012.
- 3- الخزاعي، أحمد عواد، ثورة العشرين .. إضاءة مُشرقة في تاريخ العراق الحديث.
- 4- حبيب، كاظم، ثورة العشرين (1920) في العراق، الحوار المتمدن، العدد 3047، 28 يونيو 2010.
- 5- نصار، عبد العظيم عباس، ثورة العشرين في العراق: عوامل الانطلاق ومظاهر السخط الجماهيري.
- 6- نوري، عبد الجبار، ثورة العشرين: صفحات مضيئة في الذاكرة العراقية، بتاريخ 3 تموز 2015